مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧١/٧/٢٦

برنامج أنور السادات

للعمل الوطنى فى المرحلة القادمة

بالخطاب الذى القاه الرئيس انور السادات يوم ٢٣ يوليو، وببرنامج العمل الوطنى الذى قدمه الى المؤتمر لمناقشته واقراره .. يمكن القول ان « عملية التصحيح التاريخية العميقة » كما اشار اليها البيان ، والتى رفع الرئيس لواءها يوم ١٥ مايو، قد اكتملت ملامحها .

ففى بداية عملية التصحيح ، يمكن القـول انه كانت هناك ثلاثة تيارات ظاهرة او خفية ..

كانت هناك « مراكز القوى » التى ظهر من بيان المدعى العام انهاحاولت قلب نظام الحكم بالقوة وبمحاولة الزج بالقوات المسلحه ، والتى ارادت عرقلة عملية « الانفتاح » التى دعا اليهـا بيان ٣٠ مارس ، تلبية للشعارات التى رفعها الشعب بعد نكسة ٥ يونيو عـن الديمقراطية وسيادة القانون . وكان منطقها ـ كماوصفه برنامج العمل المقدم الى المؤتمر ـ ادعاء حماية الناصريه والاشتراكية والوصاية عليها ، ملتقين فى ذلك مع الذين يزعمون ان الاشتراكية ضد الديمقراطية وهو اخطر مايمكن ان يصيب الاشتراكية ذاتها من تشويه .

وكان هناك تيار آخر ظاهر وخفى حاول استغلال معركة تصفية مراكـز القوى التى مهدت الى طـريق ابواب الانقلاب ، لكى يعتبر ١٥ مايو نهاية لـ ٢٣ يوليو واجهازا على مبادئهـا ومنطلقاتها الاساسية ، وليس تصحيحا لمسـارها ، وتطهيـرا لانحرافاتها ، وتجديدا لشبابها ..

اما التيار الرئيسى للشعب ، فقـد فهمهـا فى اطارها الصـحيح : ثورة تصحيحية ، تستمد منابعها من مبادىء ٢٣ يوليو ومنجزاتها الاساسية .وانها رغم عمق الحاجة الى التغيير فهى تدرك ما يجب تغييره ،وانها ليست «جراحة عمياء » تقتل ما نريد ان نصححه ، بدلا من ان تمده بمياه جديدة .

هذا التيار ، الذى عبر عنه انور السادات فى خطابه يوم ١٥ مايو ، ثم فى بيانه يوم ١٠ يونيو ، هو الـذى نقول ان معالمه قد اكتملت بخطاب ٢٣ يوليو وببرنامج العمل الوطنى المقـدم الى المؤتمر لمناقشته واقراره ..

وعندما قال انور السادات فى خطاب ٢٣ يوليو انه مسـئول عـن كـل قرار اتخذ منذ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ وقد كان هو الذى اذاع بنفسه بيان الثورة الاول ـ وحين تحدث عن زمالته لعبد الناصر منذ تشكيل حركة الضباط الاحرار ، لم يكن يتحدث حديثا شخصيا ولا كان يقوم بمجرد عمل من اعمـال الشجاعة الادبية باعلانه تحمل اخطـاء التجربة الى جانب انتصاراتها ، انما كان يضع تراث ٢٣ يوليو فى مكانه الصحيح كمنطلق لبرنامج المرحلة المقبلة بل انه سرد خيط الحركة الوطنية المتتابع ـ مقابل تراث التراجـع والخيـانة والانحلال ـ فذكر ثورة احمد عرابى ، ثم حركة مصطفى كامل ، ثم ثورة ١٩١٩ ثم ثورة ٢٣ يوليو ..

وحين سمى الرئيس فى خيط واحد جماهير ٢٣ يوليو ، ثم جماهير ٩ و١٠ يونيو ، ثم جماهير ١٥ مايو .. كان يسمى بذلك التيـار الرئيسى الوطنى التقدمى للجماهير ..الذى يرفض التجميد وقفل باب الاجتهاد ، ويرفض من جهة اخرى الردة والاهدار لكفاح ربع قرن قبل الثورة وبعدها ،ويطالب بالاستمرار والتغيير والتجديد معا ..

كذلك سـجل الخطـاب والبرنامج « وثائق » العمل الوطنى فى : ميثاق ١٩٦٢ ، وبيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ .. التى يجب ان يضاف اليها الان : بيان ١٠ يونيو ١٩٧١ وخطاب ٢٣ يوليو ٧١ وبرنامج العمل الوطنى الذى يناقشه المؤتمر الوطنى هذه الايام .

بهذا بلور الرئيس نهائيا هذه المرحلة ووصفها احسن وصف فى برنامج العمل الوطنى المقدم للمؤتمر بقوله «ان المرحلة الحالية من نضالنا مرحلة جديدة ،ولكنها غير مقطوعة الصلة بالمراحل السابقة بل هى نتيجة طبيعية لما تم خلال التسعة عشر عاما الماضية من تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية ، الايجابى منها

والسلبى على حد سواء ، غير انها فى نفس الوقت ليست مجرد امتداد عادى لها ، ثم فى قوله فى وصف عملية التصحيح « لقد كان من الضرورى اعادة ثورة ٢٣ يوليو الى مسارها الاصيل . وتمكين الشعب من بدء مرحلة جديدة فى ثورته » .

ـ وبرنامج العمل الوطنى المقدم الى المؤتمر ، لايمكن مناقشته هنا بالتفصيل فهو مركز شديد التركيز . وهو يتحدث عن خطط واهداف لعشر سنوات مقبلة ولعل لهذا التركيز ميزة ، هى انه يعطى الاتحاد الاشتراكى وجماهير الشعب فى المستقبل مهمة وضع تفاصيله على ضوء الممارسة والتطبيق . وهو يشير فى صراحة الى « النواحى الايجابية » والى « النواحى السلبية » فى تجربة الماضى ،ثم يفصل تصوره لاقامة الدولة الحديثة خلال السنوات العشر المقبلة.

ولكننى هنا اختار زاوية واحدة ، كانت هى اول ما استوقفتنى فى برنامج العمل الجديد ..

فالواقع اننا اذا اردنا ان نلخص سلبيات المرحلة السابقة تحت عنوان واحد ، ولو ببعض التعسف والاختزال لقلنا : ان الثورة ركزت فى الماضى على الجوانب المادية من التغيير والتحويل الاجتماعى ، ولم تعط نفس الدرجة من الاهمية للعنصر الانسانى .

صحيح ، ان تغيير الظروف المادية هو الذى يأتى فى الدرجة الاولى بغير شك . فبغير تحديد الملكية وتوزيع الارض ، والاندفاع نحو التصنيع ، والتركيز على المشروعات الكبرى الاساسية كالسد العالى وصناعة الصلب واستصلاح الصحراء ومضاعفة الطاقة الكهربائية ، لايمكن ان يتم تقدم مادى ولا معنوى . فهذا التغيير المادى هو الاساس الاول الذى لا اساس غيره لاقامة القاعدة التى يمكن الانطلاق منها على ان الجانب الانسانى ، لايقل عن هذا الاساس الاول اهمية . لان الانسان فى النهاية هو هدف كل ثورة وكل تغيير . ولان بقاء الانسان المتخلف فى نفس بيئته وعاداته وقيمه يجنى فى النهاية حتى على عملية التطور المادى ذاتها : التى كلما سارت الى الامام، كلما احتاجت الى انسان اكثر تطورا وارقى تعليما وانضج قيما .

تغيير الانسان اذن امر اساسى . تغيير بيئته . تغيير نفسيته . وتطوير عاداته وافكاره .

وما يلمحه المرء فى برنامج العمل الوطنى الجديد ـ فوق كل اهتماماته بدفع حركة التنمية المادية صناعيا وزراعيا ـ انه يعطى مكانا بارزا واهمية قصوى لهذا العنصر الاخر فى تصوره للدولة الحديثة التى نريد ان نقيمها. نلاحظ هذا فى فقرات كثيرة :

● التركيز على « الديمقراطية » فى كل صفحة تقريبا من صفحات البرنامج وهذا شرط اساسى يهم ظروف «الانسان» لانه « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» ويرفض البرنامج تماما « ذلك التناقض المصطنع بين الاشتراكية والحرية ، والذى افتعله اعداء الاشتراكية والحرية على حد سواء . ان مراكز القوى التى لايمكن لها ان تظهر او تعيش فى جو الحرية والديمقراطية وجماعية القيادة، اتخذت من الاشتراكية ودعوى حمايتها حجة لتكميم الافواه ولتسكت كل صاحب فكر ولتفرغ مؤسسات الشعب من مضمونها الشورى . لقد شوهوا الاشتراكية . كما لم يشوهها اعدى اعدائها . وحجبوا عن انظار الشعب ما شيده من منجزات عظيمة، وتسببوا فى تشكيك الناس فيما يعملون ، فوقع البعض فريسة السلبية وعدم المبالاة . لقد فتحوا الباب واسعا امام اعداء الاشتراكية فتعرضت المشروعات

في كل صفحة تقريبا من صفحات البرنامج وهذا شرط اساسي بهم ظروف «الانسان» لانه « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» ويرفض البرنامج تماما « ذلك التناقض المصطنع بين الاشتراكية والحرية ، والذى افتعله اعداء الاشتراكية والحرية على حد سواء . ان مراكز القوى التى لايمكن لها ان تظهر او تعيش فى جو الحرية والديمقراطية وجماعية القيادة، اتخذت من الاشتراكية ودعوى حمايتها حجة لتكمم الافواه ولتسكت كل صاحب فكر ولتفرغ مؤسسات الشعب من مضمونها الثورى . لقد شوهوا الاشتراكية . كما لم يشوهها اعدى اعدائها . وحجبوا عن انظار الشعب ما شيده من منجزات عظيمة، وتسببوا فى تشكيك الناس فيما يعملون ، فوقع البعض فريسة السلبية وعدم المبالاة . لقد فتحوا الباب واسعا امام اعداء الاشتراكية فتعرضت المشروعات الاساسية للتنمية لحملات متتالية من الهجوم القائم على النقد الهدام الخبيث ونال القطاع العام — العمود الفقرى للتقدم والتطور — نصيب الاسد من حملة الهجوم والتشكيك ، وهو الذى قام بالدور الاساسى فى تحقيق استقلالنا الاساسى ومواجهة متطلبات الحرب ». وبدأت ترتفع اصوات تنادى بالتخلى عن التنمية واهدافها الطموحة وتضييق مجال القطاع العام وتسوية امورنا مع القوى الاستعمارية وفتح الابواب امام استثمارات احتكاراتها .

● **الاهتمام اهتماما كبيرا «بالبيئة» التى يعيش فيها الانسان ويعمل .** وهنا نجد البرنامج يدعو فى جسارة الى تطور المجمعات الصناعية « بحيث يصبح كل منها مجتمعا صناعيا متكاملا يضم الى جانب المصانع ، المساكن الحديثة المقامة فى احياء سكنية تتوفر فيها جميع الخدمات اللازمة للعاملين واسرهم من مدارس ومستشفيات ودور ثقافة وترفيه وغير ذلك من خدمات الحياة الحديثة » .. كما يدعو الى مشروع تاريخى ضخم « لاعادة بناء قرى مصر خلال عشرين سنة » ..وهو امر يمس حياة ثلاثة ارباع سكان الجمهورية ويتصدى لمشكلة المسافة بين حياة الريف وحياة المدينة . وهذه مشروعات تحتاج الى تأملات اخرى واسعة واقتراحات شتى . ولكن ما يهمنى هنا هو دخولها فى بند ذلك الاهتمام بالانسان عن طريق التركيز على « البيئة » التى يعمل ويعيش فيها باوسع معانى كلمة « البيئة » .

● **كذلك يعطى البرنامج اولوية ضخمة لمحو الامية ، والتعليم كماوكيفا وتنظيم الاسرة وكلها امور حاسمة فى مستقبل التطور كله وفى نوع الانسان الذى نريده وهى فى نفس الوقت اشياء تحتاج الى نضال عنيد . ولا تؤتى ثمارها ظاهرة للعيان فى زمن سريع كاقامة مصنع او استصلاح فدان من الارض . وهنا يكمن التحدى الكبير . وتكمن الحاجة الى اعطاء اوسع الفرص لمبادرات الجماهير .**

وقد ربط البرنامج هذه الاهداف التى تتوخى « الفرد » باعطاء الاتحاد الاشتراكى ومنظماته — التنظيم النسائى والشبابى ، والعمالى — تتصل بهذه الاهداف . وهذا يمثل نقصا خطيرا كان فى تقديرى السبب الاساسى فى كل نواقص الاتحاد الاشتراكى ومنظماته فى التجارب السابقة .

لا يمكن ان يكون للاتحاد الاشتراكى ومنظماته مهمة سياسية مجردة ،فى مثل ظروفنا . ولطالما نادينا بان يكون للاتحاد الاشتراكى مهمات محددة فى تغيير حياة الناس وتطويرها ولو فى ابسط صورها . وهذا ما عبر عنه البرنامج تعبيرا كاملا « ان الضمان الحقيقى هو ان يرتبط العمل السياسى

ارتباطا كاملا بالعمل على تنفيذ خطة والتزام كل مستوى بتحقيق اهداف معينه فى فترات زمنيه محددة ، ويكون هذا هو اساس تقييم الافراد واللجان. ان العمل السياسى ليس شعارات ترفع ولا اصطلاحات وتعبيرات تردد عن ظهر قلب دون فهم او وعى ، وليس حشدا للناس فى اجتماعات يتبارى فيها الخطباء .. » ثم يضرب مثلا على هذه المهمات بمحو الامية وتنظيم الاسرة .

وهذا صحيح تماما . فهل يمكن حقا تنظيم الاسرة ، وهو هدف يساوى فى اهميته هدف التنمية ، بالوسائل الادارية وحدها ؟ وبدون مشاركة اساسية من التنظيمات الشعبية ومن التنظيم النسائى بالذات ؟ ..

أحمد بهاء الدين